

شبهة أخذ نبينا محمد عن اليهود المواضيع المعينة في تأليف القرآن



إعداد الأستاذ عبد الرحيم الشريف

تعد شبهة أخذ سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم عن اليهود المواضيع المعينة في تأليف القرآن الكريم، أقدم ما عُرف من نشاطات المستشرقين. فكل من يؤرخ للنشاط الاستشراقي يؤكد أن أقدم دراسة استشراقية كانت بعنوان: "ماذا اقتبس محمد عن اليهودية". [1]

توضيح تلك الشبهة:

يرى كثير من غير المسلمين أن محمداً صلى الله عليه وسلم كان على دين اليهود، وأرسل اليهود لتدمير المسيحية التي تهدد كيانهم.. ومن ثم اقتبس عن كتبهم العقائد والشرائع والقصص.

وإن كان أكثرهم يخالف هذا الرأي ويزعم زعماً آخر وهو أن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم كان مسيحياً من نصارى مكة، أعده ورقة بن نوفل بالتعاون مع الراهب بحيرا وحداد رومي اسمه يسار... لإعادة الروح إلى المسيحية في الجزيرة العربية. لكن محمداً صلى الله عليه وسلم خدعهم فأعجب بنفسه.... فادعى النبوة.

تلك الشبهة ملخصة.. وإليك الرد عليها: [2]

1. من حكمة الله تعالى وتقديره، أنه لم يُعلم في مكة يهودي واحد، واليهود استقبلوا محمداً صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة بالعداوة صراحة. [3]

2. إن قريشاً أحرص من المنصرين على إثبات بشرية مصدر الوحي ولكنهم — وهم الأدرى بحاله وتحركاته — لم يرصدوا أنه ذهب إلى معلم كتابي واحد.. ولم يفضحه رفاقه في السفر بأنه التقى بأي حبر أو كاهن.. ومن غير الممكن أن يتردد سيدنا محمد إلى بيت معلم يعلمه دون أن يلاحظ ذلك أحد، فمكة المكرمة مدينة صغيرة المساحة، أحيائها — بل بيوتها — معروفة لكل واحد من أهلها.

3. لم يكن في مكة أي كتاب ديني مدون، ولا مدرسة، ولا فلاسفة كما كانت عليه حضارات اليونان والصين وفارس والهند كما أنه لم يُعرف عن اليهود في كل الجزيرة العربية نبوغاً فكرياً ورقياً حضارياً، وفاقد الشيء لا يعطيه! [4]

ولم يكن النصارى أحسن حالاً منهم، بل كانوا لا يملكون حتى التميز بشعر خاص بهم — على الأقل —، وهذا ما يؤكد المستشرقون من أتباع دينهم. [5]

4. ومحمد صلى الله عليه وسلم لم يعاشر إلا قومه، ولم يثبت أبداً أنه خرج من مكة قبل البعثة إلا مرتين فقط: مرة وهو صغير مع عمه أبي طالب ومرة في تجارة خديجة وكان مرافقاً له غلامها ميسرة. ولو كان تغيير الدين يحدث بتلك السهولة بسبب التجارة، لكان غالب أهل مكة من اليهود والنصارى. بينما الواقع التاريخي، يثبت أن لا أحد من أهل مكة في الجاهلية قد غير دينه بسبب ما اطلع عليه من ديانات أثناء رحلاته التجارية.

5. الغالبية العظمى من القصص القرآني كانت في السور المكية، أي قبل هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة المنورة واحتكاكه باليهود.

6. لو كان للاتصال باليهود ذلك الأثر الكبير في دعوى النبوة، فلماذا لم ينتقوا أحداً من أهل يثرب أو رجلاً من القريتين عظيم، أو عبد الله بن أبي سلول — ليحمي دعوتهم بجاهه وماله؟

7. إن في القرآن الكريم قصصاً لأنبياء وسابقين لا يعرفهم أهل الكتاب، كقصة صالح وهود وشعيب عليهم السلام.. كما أن في القصص القرآني تفاصيل غير موجودة في كتبهم، كمعجزات سيدنا عيسى عليه السلام ونفنى صلبه وقتله، وتبرئة الأنبياء مما افتروه عليهم من خطايا وقبائح. [6]

8. معجزاته صلى الله عليه وسلم وخاصة معجزة القرآن الكريم البلاغية التي عجز العرب عن مضاهاتها — يستحيل أن تكون من تعليم أعاجم.

9. من غير المستغرب أن يجلس سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم إلى حداد رومي [7] لبعض حاجات بيته الطبيعية، وليس من المنطق أن يكون القرآن الذي أعجز العرب بنظمه، قد ألقاه إليه ذلك الحداد في عجالة وهو جالس عنده في السوق.. وهل الجلوس عند الحداد فيه من الراحة والاستعدادات النفسية والذهنية ما يؤهله للتعلم، تعلم هذا القرآن العظيم ؟ [8]

أليست مهنة التعليم لذلك الحداد، أيسر عليه من الحدادة ؟

10. أسباب النزول تنفي التعلم المسبق للنبي صلى الله عليه وسلم، فأين كان معلموه المفترضون حين نزل عليه القرآن في غزواته، وهو بين أصحابه يجيب عن أسئلتهم.. هل كانوا لا يُروْنَ إلا من قَبْلَ محمد صلى الله عليه وسلم؟

11. لا يمنع أن يوجد في القرآن الكريم ما يوافق ما سبق من كتب سماوية، فالقرآن الكريم لا يقول بأنها كلها محرفة 100% بل فيها تحريف وفيها ما نجا من التحريف [9].. ومثله ما نسب إلى كتب جهلة اليهود والهرطقة مما ليس موجوداً في الكتاب المقدس المعتمد حالياً.

فقد جعل النصارى من كتب بقايا النصارى الموحدين كتباً ممنوعة القراءة، بعد أن حكموا على رجالها بالهرطقة. بخاصة بعد مجمع نيقية الذي أقر التثليث ونبذ التوحيد.. فما المانع من أن تكون تلك الكتب هي الأقرب إلى الحق، وأن ما بين أيدينا من كتب اعترفت بها الكنيسة لاحقاً هي الباطل؟

12. مخالفة القرآن الكريم عقائد أساسية تميزت بها اليهودية والمسيحية.. كتفضيل الجنس اليهودي وتكريمه على الناس بقبول عبادته لله عز وجل، وكذلك أساس عقيدة النصارى من تثليث وفداء وخلص.

إن الإسلام هو دين الله الحق، الذي لم ينزل من السماء سواه. إن الدين عند الله الإسلام، دينه الذي من ابتغى غيره سبيلاً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين، فكل الأنبياء جاؤوا بالإسلام، ولم يسم أحد منهم نفسه يهودياً ولا نصرانياً بل حنيفاً مسلماً من لدن آدم وحتى محمد صلى الله عليه وسلم [10].

وعلى هذا فلا يمكن القبول بزعم أن الإسلام ما هو إلا فرع من شجرة اليهودية أو النصرانية — المحرفة عن الإسلام — بل هي ذات الرسالة وعين العقائد والمبادئ العامة التي دعا إليها الإسلام.

ويقال لهم: إن سلمنا معاً أن القرآن الكريم كلام الله جل جلاله، كالتوراة والإنجيل. فالتشابه بينه وبينها طبيعي لأن مصدرهما واحد. بل لو لم يكن هنالك اتفاق بين القرآن الكريم وتلك الكتب في جميع العقائد لقالوا: كيف يكون مصدرها واحداً وهي لم تتفق في أي عقيدة؟!

فإن اتفق شيء مما تبقى من عقائد وشرائع الأنبياء السابقين مع الموجود في القرآن الكريم، فهو من أدلة وحدة مصدرها، وإن تفوق القرآن الكريم عليها بكونه كله قطعي الثبوت.

" أما المجاهدون من أهل الكتاب — لا سيما دعاة النصرانية في هذا الزمان — فهم يقولون فيما وافق القرآن به كتبهم، أنه مأخوذ منها بدليل موافقته لها. وفيما خالفها أنه غير صحيح بدليل أنه خالفها. وفيما لم يوافقها ولم يخالفها به أنه غير صحيح، لأنه لم يوجد عندنا، وهذا منتهى ما يكابر به مُناظر مُناظرًا، وأبطل ما يرد به خصم على خصم ". [11]

ولما كانت شبهة تعلم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم على يد بحيرا وورقة بن نوفل تشكل أعظم شبهاتهم، فالرد عليها ملخصه ما يلي: [12]

1. إن تلك الشبهة فيها اتهام للنصرانيين الناسكين المتعبدین بالكذب والخداع، ومن غير المعقول أن يكون أواخر عهد ناسكين متعبدین، تسهيل مهمة شخص مخادع يدعي أنه موحى له من عند الله عز وجل.

2. قصر الوقت الذي شاهدهما فيه، فما في القرآن من عقائد وشرائع وقصص تحتاج إلى فترة زمنية طويلة. بل المنطق يقول إن أي إنسان عادي، لن يستطيع تأليف قوانين وشرائع مماثلة لتلك الموجودة في القرآن الكريم، إلا بعد مكث سنوات طويلة من التعلم.

3. أين قریشاً منهما، ولماذا لم يحضروهما ليكونا دليلاً بين أيديهم على بشرية مصدر القرآن الكريم؟

4. لم يصدر عن أي من ملوك النصارى العرب، أو الروم، أو القبط، أو الأحباش.. الذين وصلتهم رسالة الإسلام، أن ما في القرآن الكريم مسروق من عندهم.

5. لماذا لم يستخدموا رجلاً أغنى وأكثر جاهاً منه صلى الله عليه وسلم، ليسهل عليهم المهمة ؟

6. كان عمره صلى الله عليه وسلم عندما قابل بحيرا أول مرة تسعة أعوام، ولما تاجر لخديجة كان عمره خمسة وعشرين عاماً. وفي الأولى كان معه عمه، وفي الثانية ميسرة غلام خديجة. [13]

7. هل كان لدى ورقة بن نوفل أي حصيلة علمية أو معرفية، تؤهله ليكون مصدر القرآن الكريم؟ [14]

8. كيف يستطيع ورقة — وهو كبير السن — أن يصعد إلى الجبل الذي فيه غار حراء، رغم أن صعوده شاق على أشد الشباب قوة؟

9. لم يتهم أي مشرك محمداً صلى الله عليه وسلم بأنه كان يقابل ورقة، رغم أن ذلك الزعم أقوى من اتهام حداد رومي.

10. لماذا تأخر ورقة في إعلان نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم إلى أن بلغ من العمر عتياً، وهل كان يضمن أنه سيعيش ذلك العمر ؟

11. أين باقي تلاميذ بحيرا وورقة ؟ هل من المعقول أن لا يكون لهما إلا تلميذ واحد يتيم فقير؟ ولماذا لم تبعث قريش بفتيانها إليهما ليتعلموا ؟

12. هل رافق بحيرا وورقة محمداً صلى الله عليه وسلم في كل حركاته وسكناته ؟ إن في أسباب النزول رداً مباشراً على زعمهم.

13. قول ورقة بأن الوحي الذي نزل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم هو الذي نزل على موسى لا عيسى عليهما السلام، فلو كان نصرانياً لذكر سيدنا عيسى عليه السلام. وهذا اعتراف من ورقة على إلهية مصدر القرآن الكريم.

14. لو كان لورقة ذلك التأثير على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، لكان أول من يذهب إليه صلى الله عليه وسلم بُعيد نزول الوحي عليه وهو في غار حراء، قبل أن يعود إلى بيته.

15. لم يذكر التاريخ أن هنالك زيارات معتادة بين بيتي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وورقة، ولم يكن بينهما صداقة معروفة قبل البعثة كصداقته بأبي بكر مثلاً.

16. كما لم يزر بحيرا مكة ولا المدينة قبل أو أثناء البعثة النبوية، فكيف له أن يعرف ظروف بيئة الرسول صلى الله عليه وسلم وأحداثاً قبل الهجرة في مكة كموقف المشركين من الدعوة، وغيرها من أسباب نزول الآيات المكية. وبعد الهجرة: كالغزوات والعلاقة مع المنافقين.. وغيرها من أسباب نزول الآيات المدنية ؟

يمكن التواصل مع المؤلف على البريد التالي: rhim75@hotmail.com

[1] كان ذلك عام 1134م على يد المستشرق اليهودي الألماني أبراهام جايغر، وقد نال عن دراسته تلك جائزة الدولة البروسية. انظر: المستشرقون والقرآن، عمر لطفي العالم، ص17.

[2] انظر: بذل المجود في إفحام اليهود، السموعل، ص147. وقضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية، د.

فضل عباس، ص197. ووحى الله، د. حسن عتر، ص185.

[3] ذكر ابن هشام عن أم المؤمنين صفية بنت حيي بن أخطب — رضي الله عنها — أنها قالت: " كنت أحب ولد أبي إليه وإلى عمي أبي ياسر، لم ألقهما قط مع ولد لهما، إلا أخذاني دونه. قالت: فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل قباء.. غدا عليه أبي وعمي مُغْلَسَيْن. قالت: فلم يرجعا حتى كانا مع غروب الشمس. ما التقت إليّ واحد منهما، مع ما بهما من غم. قالت: وسمعت عمي أبا ياسر وهو يقول لأبي: أهو هو؟ قال: نعم والله. قال: أتعرفه وتبته؟ قال: نعم. قال: فما في نفسك منه؟ قال: عداوته والله ما بقيت ". انظر: السيرة النبوية 123/2. وقولها: " مغلسين " أي وقت الغلس. والغلس: ظلمة آخر الليل إذا اختلطت بضوء الصباح. انظر: النهاية في غريب الحديث، الجزري، 377/4.

[4] لم يظهر بين يهود الجزيرة العربية من اشتهر بعلم أو فقه أو فلسفة.. وهذا يدل بالضرورة على عدم ازدهار الحركة الفكرية والثقافية عندهم، فهم آثروا البقاء منعزلين عن العالم، مكتفين بأبسط أنواع الحياة. انظر: العرب قبل الإسلام، د. جواد علي 8/6. ود. إسرائيل ولفنسون، تاريخ اليهودية في بلاد العرب، ص42.

[5] " ولا يختلف الشعر النصراني عن شعر الشعراء الوثنيين بشيء... من الصعب على الباحث أن يجد فرقاً كبيراً بين شعر الشعراء النصارى وشعر الشعراء الوثنيين. ولهذا ذهب بعض المستشرقين إلى أن من الصعب التحدث عن وجود شعر نصراني عربي له ميزات امتاز بها عن الشعر الوثني قبل الإسلام ". انظر: العرب قبل الإسلام، د. جواد علي، الفصل 166، 4/ 1311.

[6] انظر في سفر التكوين ما نسبوه إلى الأنبياء الكرام: نوح 9/20-27 ولوط 19/30-38 وإسحاق 29.

[7] كي يتقن كفار قريش حيك فرية تلقي رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن، وضعوا في معلمه شرطين: الأول: أن يكون من سكان مكة؛ ليتحقق زعمهم بتلقي القرآن عنه بكرة وأصيلاً. والثاني: أن يكون من غير قومهم وملتهم، ليتمكن عندها أن يقال إن عنده علم ما لم يعلموا.. والتمسوا الشرطين فلم يجدوهما إلا عند حداد رومي. انظر: مدخل إلى القرآن، د. محمد دراز، ص134. قلت: لو تحقق الشرطان في ورقة — أو غيره من أحبار اليهود والنصارى — ، لما أوقعوا أنفسهم في فضيحة انتقاء الحداد معلماً مزعوماً.

[8] الجلوس عند الحداد — وخاصة في ذلك الزمان — لا يرتاح إليه أحد. وقد وصف ما ينتاب المرء نتيجة ذلك الجلوس، من أوتي جوامع الكلم صلى الله عليه وسلم بأروع وصف حين قال: " مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالْجَلِيسِ السَّوِّءِ، كَمَثَلِ صَاحِبِ الْمِسْكِ وَكَبِيرِ الْحَدَّادِ. لَا يَعْدَمُكَ مِنْ صَاحِبِ الْمِسْكِ إِذَا تَسَنَّرَ بِهِ أَوْ تَجِدُ رِيحَهُ. وَكَبِيرُ الْحَدَّادِ يُحْرِقُ بَدَنَكَ، أَوْ ثَوْبَكَ، أَوْ تَجِدُ مِنْهُ رِيحًا خَبِيثَةً ". رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي الْبَيْعِ بَابُ فِي الْعَطَارِ وَبَيْعِ الْمِسْكِ 2101 . ولك أن تتخيل كيفية استماع القرآن الكريم لأول مرة، وأصوات المطارق الحدادين، وناز الكير، ناهيك عن الرائحة التي تصد حضور الذهن الضروري لأي تعليم.. فلو أراد حفظ نشيد من أناشيد الأطفال في ذلك الجو، لكان متعذراً عليه !

[9] قال تعالى: " وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ " [الأنبياء: 105] وفي مزامير داود [11/37] " الأبرار يرثون الأرض ". فذكر ذلك بكل مصداقية، عكس متى الذي اقتبس تلك الفقرة ذاتها في إنجيله [5/5] دون الإشارة إلى اقتباسها.

[10] قال ابن تيمية: وجميع الأنبياء كانوا على دين الإسلام. انظر مجموع الفتاوى 370/27 وانظر الأدلة على كون كل الأنبياء دينهم الإسلام في: الخطاب الدعوي للأنبياء والدعاة في القرآن الكريم، عبد الرحيم الشريف، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة آل البيت، الأردن، 2001م، ص 16-76.

[11] تفسير المنار، محمد رشيد رضا 249/3.

[12] انظر: الإسلام في قفص الاتهام، د. شوقي أبو خليل، ص 32-39 والقرآن ليس دعوة نصرانية، د. سامي عصاصة ص 65-117. ووحى الله، د. حسن عتر، ص 139-165.

[13] انظر: الكامل في التاريخ، ابن الأثير، 23/1. والبداية والنهاية، ابن كثير، 295/2.

[14] كان ورقة يعبد الأصنام طيلة ستين سنة، ثم ذهب يبحث عن أفضل دين هو ومجموعة من أصدقائه، وترددوا بين الشرك والنصرانية واليهودية، ثم استقر رأيهم ورأي أكثرهم على الحنفية. وكان عمر ورقة عند بعثة النبي مائة سنة. انظر: البداية والنهاية لابن كثير: 340/2 والسيرة الحلبية لعلي الحلبي 116/1، والاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر 616/2. فهو لا يملك ذلك العلم الواسع.